

من البنية إلى العلامة النص والخطاب في التحليل السيميائي

أ.د محمد رضا مبارك

كلية الإعلام / جامعة بغداد

مستخلص

العناية والاهتمام بالبنية في الستينات من القرن الماضي حلت العلامة محله ، وإذا كانت البنية السيدة المدللة في البحوث والدراسات ، فقد أصبحت العلامة هي الأخرى سيدة مدللة .. لكن العلاقة بين البنية والعلامة لم تكن علاقة قطيعة وافتراق ، بل هي علاقة تكامل ، فالتحليل السيميائي يأخذ بعض مواضعه من التحليل البنيوي ، وهذه مواضع فكرية لا يمكن تجاوزها في البحوث المعاصرة ولا سيما ان السيميائية قد خرجت من اعطاف اللسانيات .

لقد عملنا على محاولة التمييز بين النص والخطاب وهي مهمة شاقة كما يبدو ، فكلمنا ظهر ان الفرق بينهما واضح وجلي ، نعود مرة اخرى لتساءل هل النص هو نفسه الخطاب ، وهل الخطاب هو مجموعة من النصوص ؟ اذا كان الامر كذلك فلماذا يوحد بعض الباحثين بين المصطلحين . ؟

عملنا قدر ما نستطيع على محاولة التمييز بينهما ، مستعينين بأراء واطروحات نافذة في هذا المنزغ الفكري المهم ، اذ ان الوصول إلى تحديد واضح لدلالة كل منهما سوف يفيد ايما فائدة في قراءة المتون السردية والشعرية والإعلامية .. حين يكون الهدف نقد هذه المتون او تحليلها .

لقد استعملنا بطبيعة الحال المنهج السيميائي في التحليل ، اذ ان هذا البحث قد احتوى جانبين او قسمين ، الأول نظري يتعلق بمنهج التحليل وتحديد الياته ، والثاني عملي ، يتعلق بتحليل نص تاريخي قصير تحليلا سيميائيا ، اي ان هذه النصوص قد اعتبرت نصوصا سردية على وفق ما فاه به الناقد الكندي نوثروب فراي في توسيع مفهوم السرد ، اذ لم لم يقصره على نصوص محددة او جنس ادبي ، كما فعل الناقد الامريكي هنري جيمس من قبل . اذ اصبحت نظريته في السرد بمثابة دوغما عقائدية ولا سيما تحديده شروطا او لنقل مواضع لا بد للسارد من اتباعها .

يقتضي المنهج توضيح الخطوات التي اعتمدت في التحليل ، لذلك فان خطواتنا تتبعت اثر فريق افراتون في التحليل السيميائي ، مع ان هذا التحليل يواجه نقدا شديدا ، ولا سيما فيما يتعلق بالمعنى ونظرته إلى شكل المضمون كما يسميه وقد خرجنا على بعض ما جاء به الفريق في تحليلنا ، انطلاقا من الحقيقة الثابتة التي تقول ان المناهج ان لم تكن مرنة فقد تصاب بالعقم ومن ثم الذبول .

ان تحليل النصوص التاريخية ليس جديدا ، لكنه نادر ، ويتجنبه الباحثون ، وهو يعتمد على قصد مسبق في الاختيار .. وبهذا فان التحليل السيميائي سواء للنصوص المكتوبة او للصور ، يختلف تماما عن المناهج السائدة والمتبعة ، و لا نطرح جديدا حين نقول ذلك ..

العلامة

اذا كانت البنية لها السيادة في البحث والاهتمام الثقافي والمعرفي في الستينات من القرن الماضي ، فان العلامة ، شغلت مكانها في الاهتمام ، اذ ان عماد السيميائية هي العلامة . ولكن ما العلامة وكيف وصلت إلى هذا الرقي وهذه السيادة في الدراسات الادبية والإعلامية والفلسفية ، ولعلها تسود المعارف جميعا فالعلامة لا تقتصر على مجال معرفي دون اخر ، انطلاقا من ان علم السيمياء هو علم شامل للعلوم جميعا ..

أول من اشار إلى العلامة في العصر الحديث ، ونبه إليها في مفتح القرن العشرين ، هو (دوسوسير) « اذ إن جميع النظريات اللغوية الحديثة مدينة للعالم السويسري الكبير بالكثير من مبادئها الأساسية ، خصوصا مبدأ ثنائية العلامة اللفظية ، ومبدأ اولية النسق أو (النظام) على العناصر ، ومبدأ التمييز بين اللغة والكلام». (١) ”

وهذا أشهر ما ذهب إليه في موضوع العلامة الذي افتتح عهدا لم يغلق حتى هذا اليوم في تقدم العلامة . وطبقا لثنائيات دوسوسير ، فان هذه الثنائية ترتبط بثنائيات عدة مثل اللغة والكلام والادل والمدلول وبمحاور عدة كالمحور النظمي والمحور الاستبدالي.

واذ فتح عهد جديد ، للدراسات اللغوية الوصفية بابعاد التعاقب ، او الجانب التاريخي في اللغة ، فان (العلامة) اللفظية قد وجدت متسعا واسعا لها ، فالعلامة لا يمكن الا ان تكون وضعية ، وهي تبتعد عن التدرج التاريخي الذي كان يسود دراسات اللغة ..

العلامة آنية مستقبلية ، اكثر منها تاريخية ، العلامة افقية اكثر منها عمودية ، وهي فضلا عن ذلك ، فهي ثنائية على الشكل الاتي :

١. ثنائية الدال والمدلول .

٢. ثنائية الافقي والعمودي .

٣. ثنائية الحضور والغياب .

٤. ثنائية اللغة والكلام

وقبل ان نشير بشئ من الشرح لهذه الثنائيات نقول « لاشك في ان دي سوسير ، بفلسفته الخاصة في (علم العلامات) - قد مهد لظهور فكر صوري في مضمار علوم المجتمع والثقافة .. ومن ثم لاقامة (سيميولوجيا عامة) كما قال بنفسه» ٢

ولعل الدال والمدلول هو أهم ما يرتبط بالعلامة او بسيميولوجيا العلامة ، فا الدال هو الصورة المادية اللفظية سواء كانت منطوقة ام مكتوبة ، اما المدلول فهو التصور الذهني ، هو الفكرة التي يشير اليها الدال . والعلاقة بينهما علاقة وثيقة اذ لا يمكن معرفة الدال بلا مدلول ، والعكس صحيح ، ولعل دوسوسير قد اشار بشكل واضح إلى اعتبارية الدال ، وهو موضوع اشار اليه جل اللغويين .

السيمياء والثقافة

إن الثقافة باعتبارها مجالاً لتنظيم المعلومات وجمعها في اطار واحد ، تكشف ان كل ما هو خارج الثقافة ، انما هو فوضى ، واذا وضعنا المسألة في هذه الزاوية يبدو ان الثقافي واللائق في مجالين يحدد كل منها الاخر ويحتاج اليه ، اذ ان الية الثقافة نظام يحول المجال الخارجي إلى نقيضه الداخلي ، يحول الفوضى إلى نظام ويحول الجهلاء إلى علماء ، والمذنبين إلى اولياء ويحيل الفوضى إلى معلومات ، ولان الثقافة لا تعتمد في حياتها على التقابل بين المجالين الداخلي والخارجي فحسب بل تعتمد على الحركة من احدهما إلى الاخر ، فانها لا تحارب الفوضى الخارجية فقط بل انها تحتاجها ايضا ، انها لا تكتفي بتحطيمها لكنها ايضا تخلقها باستمرار . ٣ .

الدراسات السيميائية تنظر إلى الثقافة على انها موضوعات تواصلية وانساق دلالية ، وان مفهومها يعد اساسيا ، لذلك يجب التفريق بين مفهومين لها ، مفهوم الثقافة من منظور الثقافة ذاتها ومفهوم الثقافة من منظور ما وراء النظام العلامي الذي يصنفها .قد يكون هناك بعض اللبس في تحديد العلاقة بين السيمياء والثقافة ، لاشك في ان نظام العلامات يفرض رؤيته في اهم قضايا العصر .. والثقافة بهذا المعنى ليست المدونات الادبية ولا حتى الشفاهيات الكبرى في التاريخ التي دارت حولها البحوث تتحدد قيمتها في قيمة التحول

والتغير اى ان الانساق الدلالية ليست ثابتة وكذلك موضوعات التواصل , ان حركة الثقافة حركة ديناميكية وكاننا نعود إلى هيغل وإلى كارل ماركس في جدلية التناقض , ان الوجود ذاته يخلق تناقضه , الاصل في الفكر الانساني هو الوصول إلى النظام , لكن النظام في حركة الوجود يصنع فوضاه , وهذا لا يعني ان الفوضى لا زمة او حتمية او مسوغة... انها توجد في اطر انظمة الفكر وليست هي الفوضى العارمة التي تسود المجتمعات المتخلفة , المهم في ذلك ان السيميائيات ليست مناهج للتحليل فقط انها رؤية لتغيير العالم .

العلامة وطبيعتها

ان العلاقة بين الدال والمدلول او اعتبارية الدال , اشار اليها عبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس الهجري , حين اطلق لفظ المواضعة على هذه العلاقة , او الوضع , والوضع يشير إلى اعتبارية الدال .. وعلى اية حال لم يرق ما قاله دوسوسير , لبعض اللغويين منهم (بنفست) .. غير ان هذه المقولة بقيت راسخة لوجاهتها وقدرتها على الثبات .

وهي مع ذلك لا تؤخذ على اطلاقها , لان هناك بعض الالفاظ لها علاقة بما تشير اليه , وهي قليلة مثل خريز , الجدول يحاكي صوت الماء , لكن في المواضعة العامة , ان لا فرق بين ربح ورضب اذا اراد الواضع للغة , ان يغير او يقدم او يؤخر في الحروف . مادامت المواضعة الاجتماعية قد وضعت ذلك , انطلاقا من الفكرة الشائعة في ان اللغة مواضعة اجتماعية وليست توقيفا .

والمعروف « ان النقد الذي وجهه بنفست إلى دو سوسير وان كان صحيحا من بعض الوجوه , خاصة وان بعض تعبيرات لا تخلو من غموض او لبس او عدم تحديد , الا انه لا يطعن في صحة الفكرة الاصلية التي نادى بها ابو البنيوية اللغوية الحديثة , الا وهي ان العلاقة بين الدال والمدلول علاقة تواضعية (اصطلاحية) خالية من كل مبررات او اسباب عقلية . وحين قال : ان العلاقة اللفظية اعتبارية , فإنه لم يكن يفكر في صلة العلاقة بالموضوع المشار اليه , كما انه لم يكن يريد الخوض في تلك المشكلة الافلاطونية التي كانت موضوعا للنقاش بين كل من هرموجين وكارثيلوس , هل يكون مصور تسمية الاشياء هو العرف ام البداهة الطبيعية» ٤

التحليل السيميائي

لعل التحليل السيميائي يتوقف عند ثنائيات سوسير ولاسيما ثنائية اللغة والكلام وثنائية المحور النظمي والمحور الاستبدالي , المرتبطين اصلا بالدال والمدلول , كثنائية مهمة وبارزة في كل تحليل من هذا النوع .

بفضل التفريق بين اللغة والكلام ، اي بين نظام اللغة والاستعمال الفردي ، جرى التحكم في الية التحليل ، لان نظام اللغة ، هو نظام محايت على وفق عبارة (كريماس) ومعنى كلمة محايت ان تدرس اللغة لذاتها وفي ذاتها ، بعيدا عن نظام تطورها او تاريخها ، واذ ساعد ذلك في التحليل السيميائي . فان ثنائية الدال المدلول او التعبير والفكرة ، او الصوت والفكرة ، ترتبط بثنائية النظمي اما الاستبدالي فيتعلق بالمدلول ..

واذ نشير إلى الدال ، يصبح الدال هو الشكل والصورة ، التي تحمل المعنى ، لذا فقد اعتنى البنيويون (بالدال) على مستوى التحليل ، واقتصد هنا البنيوية الشكلية ، اذ اننا لو نظرنا إلى بنيوية (لوسيان غولدمان) ربما لوجدنا شيئا مختلفا ، اذ انه نظر إلى المدلول ، محددًا في علاقاته الاجتماعية ، ولعل التناقض الرئيسي الذي قد يشي به تعريف دوسوسير للسيميولوجيا (بانها دراسة العلامة في كنف الحياة الاجتماعية) يضع الدارسين امام حيرة ما ، يديرها فهم (كولدمان) للبنيوية ، اذ ان ربط السيميولوجيا بالحياة الاجتماعية هو خروج على النص المحايت الذي تحدث عنه كريماس ..

اذ ان الحياة الاجتماعية تعني الجزء الخارجي من اللغة ، او الجزء الخارجي من النص ... واذا كانت هذه الاطروحة قابلة للنقاش مستقبلا ، فان ثنائية النظمي والاستبدالي حاضرة في كل تحليل اذ « تتركز العلاقات ، على الصعيد الاستبدالي ، على مستوى الدماغ ، كما يقول سوسير ، فهي تشكل الكنز الحقيقي لكل فرد ويجمع المحور الاستبدالي ، بين الالفاظ المضمره ، اذ ان عملية التحليل التي تطبق في هذه الحالة هي (التطبيق) .

ويمكن القول ان التحليل النظمي يتعلق بالكلام بينما يتعلق التحليل الاستبدالي باللغة نظاما . هـ

تحليل الخطاب سيميائيا

لعل من اكثر الاصطلاحات شيوعا في عالم الفكر والادب والسياسة والإعلام والمجتمع ، هو لفظ (تحليل) الذي أخذ من الأدبيات العلمية ، على الرغم من وجوده في اللغة منذ زمن طويل ، ولعل المفهوم القديم يرتبط بتفكيك الالفاظ المدلّة على معان معينة ، لغرض اعادة بنائها من جديد ، وهو عين ما يقصده المعاصرون بكلمة (تحليل) .. وشاع في الأدبيات مصطلح اخر قريب هو تشريح ، في كتاب الناقد الكندي نوثراب فراي تشريح النقد .. منجزات العصر العلمي منذ القرن التاسع عشر ، فرضت رؤيتها على المصطلحات .. واذا نجد بعض اللبس افي كلمة (تحليل) فان كلمة (خطاب) Discurs ، قد شابها الكثير من الغموض ، عند مؤسسيها ، حتى استهلك معناها ، لفرط ما استلتمت بلا

ضابط معرفي او علمي ، واذ تشتت الدارسون في معنى هذه الكلمة ومدلولاتها الواسعة ، فان مقترباتها ، تشير إلى عينة خاصة من اللغة ، تلك التي تعتمد على اسس مفهومية وتواصلية ، ولها القدرة على الحوار مع الاخر ، والمشاركة في انتاج الخطاب ..

ان هذه القدرة التواصلية المرتبطة بالمتلقي حصرا ، هي احد جوانب الخطاب المهمة ، التي يفرق عادة بينها وبين الكلام ... الكلام من اي نوع لا يعد خطابا ..

بعض الدارسين يضع التلقي شرطا من شروط الخطاب... التلقي بالمعنى الاوسع مستعينا بالجذر اللغوي (خطب يخطب) فلا بد في كل خطاب ان يكون فيه مخاطب ومخاطب ، ولعل الشفاهية حاضرة في كل خطاب وهي عنوان تأصيل هذا المفهوم اذ ان مستوى التحليل ينتقل من المكتوب إلى الشفاهي ، والشفاهية سمة هذا العصر ، وكأنا نعود ادراجنا إلى العصور القديمة ، ما قبل الكتابة ، حين كانت اللغة شفاهية المنزع والخطبة كذلك. بعض الدارسين يفرق بين الخطاب والنص انطلاقا من شرط التلقي فالنص يمكن ان يظل نصا حبيسا في الادراج لا يطع عليه احد اي معزولا عن شرط التلقي . وهي تفرقه قد تكون مقبولة بين الاثنين .. بعض الدارسين يوسع نطاق الخطاب ليشمل دلالات واستعمالات عدة اي ان التمييز بين الاثنين يأتي من الاستعمال ، فتقول الخطاب الاستعماري او الخطاب الكولونيالي ولا تقول النص الاستعماري او النص الكولونيالي والتعبير هنا مأخوذ من الشرطين الاساسيين في الخطاب هما القراءة والشفاهية فمثل هذه الانواع من الخطابات تحتاز على الاثنين معا فضلا عن الامتدادات الدلالية التي يعطيها الخطاب مقرونا بهذه الالفاظ اذ تتوقف هذه الدلالات لو قلنا النص الاستعماري او النص الامبريالي او النص الاستبدادي..

حين ذاك يمكن ان يقال ، لا يوجد نص استبدادي ... لكن يوجد خطاب استبدادي وفضلا عن الاستعمال وهو عين اللغة ، فان ارتباط الخطاب بالمتلقي (بصفته مفهوما واسعا) هو الذي يغذيه بهذه المعاني او ان صحت التسمية (ظلال المعاني) او بمعنى ثالث احياءات المعنى ، وقد تقف هذه العوامل السابقة حائلا دون مزج كلمة خطاب بكلمة نص ..

واذ نراجع الأدبيات المتوفرة مرة اخرى ، نجد الامندوحة في الجمع بين الخطاب والنص ، والاساس في كل ذلك . ان المفاهيم الانسانية والمصطلحات الفنية والادبية ، وحتى اصطلاحات علم الاجتماع والفلسفة ... الخ ، لا يمكن الا ان تبقى في فهمها مسافة للتأويل لان طبيعة هذه العلوم ، طبيعة احتمالية . وما دام الاحتمال قائما ، فان من المستحيل الوصول إلى اكتفاء مفهومي لكلمة ما ، بله كلمة (خطاب) .. ولعل ميشيل فوكو ، الذي ربط الخطاب بالسلطة والمجتمع ، والعلاقة بينهما ، لم يستطع الدارسون الوقوف على

معنى واضح للخطاب عند تعريفه له «يقول ميشال فوكو «بدلا من ان أخلص تدريجيا معنى كلمة خطاب ، وما لها من اضطراب وتقلب ، اعتقد انني في حقيقة الامر اضفت لها معاني اخرى ، بمعالجتها احيانا كمجال عام لكل العبارات ، و احيانا بمجموعة من العبارات الخاصة ، و احيانا كممارسة منظمة تفسر وتبرر العديد من العبارات» ٦ والذي يؤكد الاضطراب في مفهوم الخطاب لدى فوكو ، هو صعوبة وضع المصطلح تحت لواء مفهوم واحد ، الامر الذي جعل العديد من الباحثين ، في نية تحديد مفهوم له ، مقابلته بمصطلحات اخرى عديدة ، الكلام ، الملفوظ ، النص ، اللغة ، القصد ، المجتمع ..

إذ ان الخطاب يعتمد على نقاط مرجعية تقع خارج نطاقه وداخله

التحليل السيميائي والتحليل الخطابي

لعل من الاسئلة المهمة التي تطرح عادة ، هل التحليل السيميائي هو نفسه التحليل الخطابي ؟. أم ان هناك مسافة بين التحليلين ، وهل يمكن فصل التحليل على مستوى الخطاب ، من التحليل على مستوى السيمياء ؟

اسئلة افتراضية ، وقد يكون الجواب عند ذلك بدهيا ، اذ ان كل خطاب ، لا بد ان يحلل على مستويين ، تحليل خطابي وتحليل سيميائي ..
واحدهما يستمد وجوده وقوته من الاخر ..

التحليل اللساني

في التحليل اللساني ، نتوقف عند مصطلحين مهمين يعدان الاساس لهذا التحليل ، وهما شكل التعبير وشكل المضمون ، وهذه الثنائية مطلوبة في كل تحليل لساني .
اذ ان شكل التعبير يتعلق بالدراسات الصوتية ، او صوت الفونيم، اذ ان كيفية نطق الحرف ، سيؤدي إلى معرفة الجهة التي تنطق به .. لان الاصوات مجال مشترك لكل القوميات .. وسنجد ان خاصية معينة في نطق الحرف عند بعض الامم تختلف عن الامم الاخرى وان كان الحرف واحدا ، اقصد النمط الكتابي له ، (شكل الحرف) والذي يقع فيه الاختلاف هو طريقة النطق ..
اما شكل المضمون ، فهو العوامل العاطفية والتخييلية التي يظهرها النص ، ففي مثل قول المتنبي :
كفى بك داء ان ترى الموت شافيا وحسب المنيا ان يكن امانيا
فما يثيره البيت امن عاطفة تتعلق بالاسى والحيرة والاضطراب ، هو شكل المضمون ،

لذا فان التحليل اللساني يقوم على هذا الشكل وليس على المعنى .

يقول يا مسلاف «ان الشكل والمادة مترابطان ، ولا يمكن اظهار احدهما دون الاخر ، وهما ينتميان إلى اللسانيات وفق المفهوم الذي يعطيه هو لهذا العلم ، اذ انهما قابلان للتحليل ، بما انها يحويان على شكل ، وهما نتاج شبكة من العلاقات ، انما المعنى لا ينتمي إلى مجال اللسانيات ، لانه غير قابل للتحليل ، وعلينا التطرق إلى معنى التعبير ومعنى المضمون بشكل مختلف » ٧ .

في الاساس التحليل اللساني يقوم على الاشكال ولا بد ان نتذكر الشكلايين الروس ، الذين احدثوا تحولا في الرؤية الاوربية ولاسيما في النظر إلى اللغة الشعرية ، سواء انتموا إلى جماعة موسكو ، او إلى جماعة لينينكراد . اذ ان الاساس هو ان التحليل الاجتماعي للشعر قد انقضى عهده ، ولا بد من النظر إلى اللغة الشعرية بمنظار جديد ، ولعل جاكوبسون كان يتصدر جماعة الشكلايين ، وقد سموا بهذا الاسم من معارضهم ، ولكن التسمية بقيت تدل على ان الاهتمام بالشكل هو الاكثر حظا في التجارب الجديدة ، ولاسيما المتعلقة باللغة الشعرية .

«وهم جعلهم ادبية الادب موضوعا لدراستهم ابتعدوا عن المفهوم التقليدي لثنائية الشكل والمضمون ، فقد وضع الشكلايون النص في مركز اهتمامهم ، ورفضوا اللجوء إلى المقاربات النفسية او الفلسفية او السسيولوجية التي كانت تسيير الحركة النقدية انذاك . فبالنسبة لهم لا يمكن فهم الاثر الادبي انطلاقا من حياة المؤلف ، او من خلال تحليل الحياة الاجتماعية التي تحيط بال اثر » ٨ .

واذ مضى زمن طويل عن الشكلايين الروس ، غير ان الاثر الذي تركوه فيما بعد ، هو الابتعاد عن التأويل والتفسير الذي لا يكون علميا ، اذ إن الارتباط او الالتحام بين الشكل والمضمون ، في نظر الشكلايين هو الذي وحد الجهد العلمي في النظر إلى النصوص ، ولا بد ان نلاحظ ذلك في التأثير المتبادل بين البنيوية عند اتبائها في مفتحات القرن الماضي وبين الشكلائية ، اذ ان كليهما كانا يطبقان الرؤية العلمية في تحليل النص . ولكن ظل السؤال قائما ، حول مدى الفائدة التي افادها التحليل السيميائي من تحليل النص «» ٩ . فلقد ابعد المعنى عن التحليل ولا بد من اتجاهات اخرى تعيد إلى (المعنى) اهميته في اطار التحليل .

ولكن الامر المهم في اطار ذلك ان الشكلايين لم يقصروا جهودهم على ادبية الادب ، او اللغة الشعرية ، بل وسعوا مفهوم النص «فقد دعو إلى ضرورة دراسة الاعمال التي لم تحظ من قبل باهتمام كبير كالمذكرات وادب المراسلة وذلك من اجل بيان الانواع الادبية

المسؤولة عن التوالد الادبي» .

وإذ ظل الشكلاينيون مؤثرا لانبثاق حركة نقدية وفكرية واسعة تعدت اطرها المعتادة ، حين حلل (بروب) وهو احد الشكلاينيين الحكاية الخرافية الروسية ، وكان هذا ايذانا بان الشكلاينيين دخلوا إلى النص من جميع ابوابه الشعرية والسردية ..

ولكن اذا كان الفكر ، يفيد كثيرا من التراكم المعرفي فان ما اشاعه الشكلاينيون من منهج علمي موضوعي ، قد اثر فيما بعد في مناهج قراءة النص وتحليله ، ولعل السيميائية التي اقترنت في بداياتها بالبنوية ، قد اخذت من هذا المنهل بعض اطروحاته المهمة .

وإذا كان الاتصال بين الاثنين اساسيا ، فان التحليل لا يتوجه إلى ماذا نقول ، بل كيف نقول وهذا عين ما سعت اليه البنوية ، وهو ما تسعى اليه السيميائية ايضا ، على الرغم من الاختلاف بينهما ، كيف ، يتضمن شكل المضمون ، وليس المضمون او هو يتضمن شكل المعنى ، وليس المعنى ، وعلى هذا فان الامر مادام مرتبطا بالشكل ، فهو لا بد ان يكون محايثا .. اي ان الداخل لا يحيل إلى مرجع خارجي ، او نظام اخر ، يستمد منه الية الفهم .. والمحاثة مجال مشترك بين البنوية والسيميائية ، او بالاصح بين اللسانيات والسيميائية .

لكن هذا لا يؤخذ على اطلاقه ، فالفاصل بين البنوية والسيميائية ، يمكن ان نصل اليه من تعريف دوسوسير للعلامة ، او للسيميائية «دراسة العلامات في كنف الحياة الاجتماعية» وهذا ما جعل السيميائيات ، ذات علاقة بالخارج ، مذ حلت مناهج التأويل والتفسير ، واصبحت (التأويلية) اساسا من اساس القراءات السيميائية ، على وفق ما وضح ذلك من بعد امبرتو ايكو ، في كتابه (السيميائية والتأويل) .. واذا تتداخل السيميولوجيا مع البنوية ، تجد لها مكانا مميزا عنها ، لو كان التحليل البنوي هو عينه التحليل السيميائي ، لما كان هناك شئ مهم يقال .. وان اجماع بعض الباحثين على ان التحليل السيميائي هو تحليل بنيوي ، هو للاشارة ، إلى النظام والنسق ، والعلاقة والبنية السطحية والبنية العميقة ، وهي من متداولات البنوية ، وكذلك العناية بالتحليل العلمي للنصوص ، وقياس نتائج هذا التحليل ، كما فعل (بروب) في تحليل الحكايات الروسية ، او كما وضع (كريماس) اتجاهها خاصا في السيميائية يطلق عليه الاتجاه الكريماسي، الذي تحول فيما بعد إلى تحليل المربع السيميائي ..

ان جانبا من التحليل السيميائي هو تحليل خطابي وهذا ما نعنى به هنا «فالتحليل السيميائي في النهاية هو تحليل للخطاب وهذا ما يميز السيميائية النصية عن اللسانيات البنوية (الجمالية) ، فبينما تهتم اللسانيات ببناء وانتاج الجمل او بالكفاءة الجمالية ، تهدف السيميائية إلى بناء التنظيم وانتاج خطابات ونصوص او تهدف إلى الكفاءة الخطابية» ١٠

ولابد في هذا الاطار من الاشارة إلى مبادئ التحليل ومسلماته ، وهي التحليل المحايث والتحليل البنيوي وتحليل الخطاب ، ولا بد من الاشارة ايضا إلى مستويات التحليل المستوى السطحي والمستوى العميق ..

ولعل هذا يحدث عددا من الاشكالات مرة اخرى ، لان التحليل المحايث ، لابد ان يكون تحليلا بنيويا ، بمعنى ان ابعاد البنيوية عن التحليل السيميائي يأتي في اطار نسبي او نسبية التحليل ، وليس في اطار مطلق ، اي ان في كل تحليل لابد من محاثة التي تعني

١ - شبكة العلاقات التي تقيم تصنيفا لقيم المعنى : حسب العلاقات المعقدة بينهما .

٢ - نسق عمليات ينظم عمل النصوص، التي عادة ما يتوجه إليها في اوقات مختلفة .

من السرد إلى السردية

قد يذهب الذهن إلى حصر السرد في القصة والرواية ، وهو الشائع في الدراسات وكذلك في الشفاهيات ، إذ يمكن تقسيم السرد إلى قسمين اساسيين ، هما الحكاية والخطاب ، غير ان الامر ليس كذلك على الاطلاق ، فالمدونات التاريخية يمكن ان تكون سردا ، نذكر فقط بكتاب الناقد الكندي نوثراب فراي في كتابه السرديات الكبرى او المدونات الكبرى ، وبهذا فقد انفتح مفهوم السرد على اكثر من نوع كتابي واحد ، او اكثر من جنس ، ولا بد بعد ذلك ان نحدد النص السردى (narrative) لكي يكون مدخلا للتحليل «هو نص يتضمن السرد ، باعتباره منتجا ومتغيرا ، موضوعا وفعلا ، بنية وبناء ، لواحد او اكثر من الاحداث الحقيقية او المتخيلة ، مقدمة بطريقة صريحة او متخفية إلى مخاطب سردي أو اكثر» . ١٢

ومن التحديد السابق اذا سلمنا بصحته فان السرد ، يمكن ان يكون ممثلا بعدد من الكتابات التي تحمل هذا الوصف ، غير ان ما يؤشر في التعريف السابق ، هو المخاطب السردى ، اي ان المخاطب سواء اكان مخاطبا صريحا او ضمنيا هو جزء مكمل لعملية السرد ، ويمكن ان نحدد صفة المخاطب السردى بانه المخاطب الذي يتقبل السرد ويتفاعل معه ، والتقبل والتفاعل ، صفتان لصيقتان بالنص ، في جانب التلقي .. ولعل هذا التقبل والتفاعل يكون مع نص سردي صريح ، او متخف ، وهنا يتجاوز التعريف بعض المواضع ، إذ ان النصوص جميعا حتى تلك النصوص التاريخية ، لا تخلو من متخف ، بل ان هذا الخفي هو اساس وجودها ، وعلى هذه المواضع البسيطة يتأسس تحليل الخطاب والتحليل السيميائي ايضا ، باعتبار الاثنين وجهين لعملة واحدة .

ويمكن تحديد السرد بصورة اكثر وضوحا بالقول « ان عبارات مثل : كل البشر فانون

، وسقراط انسان ، اذن سقراط فان أو عبارة السكر حلو ، لا تشكل سردا ، لانها لا تقدم احداثا ، ولكن عبارات مثل فتح الرجل الباب ، او ماتت السمكة الذهبية او سقط الرجل على الارض ، تمثل سردا لانها تمثل تغيرات في الحالة من وضعية إلى اخرى ، بالاضافة ذلك فأن الاداء الدرامي على خشبة المسرح لا يعد سردا وذلك لان الاحداث في الاداء الدرامي المسرحي لا تقدم محكية ، وانما تعرض مباشرة من الخشبة « السابق ١٣ .

النصوص المسرحية كتبت لتمثل لا لتقرأ ، مع امكانية قراءتها ، وكثير من النصوص المسرحية تقرأ كما تقرأ الرويات والقصص ، وقد تكون مسرحيات شكسبير ومسرحيات صموئيل بيكت اكثر المسرحيات احداثا وصراعا ، ومن ثم فهي اكثرها قبولا للفن السردى ، لذلك فان المقتبس السابق لا يقبل على اطلاقه ، وقد يذهب بعض الدارسين إلى القول ان المسرح هو ابو القصة والرواية ، لان كثيرا من المسرحيات تقدم حكايات .

وبعيدا عن ذلك فان النصوص السردية اللفظية يمكن ان تمثل لها بالقصة القصيرة ، والرواية ، والتاريخ ، والسيرة الذاتية ، والملاحم والاساطير ، والحكايات الشعبية ، والاغاني والتقارير الاخبارية ، والحكايات العفوية كما ترد في المحادثات اليومية .

ويمكن ان نضيف إلى ذلك النصوص المسرحية المقروءة.

اذا كنا قد اشرنا فيما سبق إلى السرد ، فان السردية في التحليل السيميائي (ظاهرة بناء للمدلولية فالمعنى ينتج عن الاختلاف والسردية هي وضع هذه الاختلافات في تتابع الحالات والتحويلات ، انها التنظيم النظمي للمدلولية ، اما التحليل السردى فيكون بوصف تحولات الحالات التي تميز الشخصيات والادوار التي تقوم بها في عمليات التحول ١٤ .

وهذا الفهم السيميائي للتحليل السردى سنأتي اليه لاحقا ، لكن السرديات (Narratology) قد درست وعرفت بشكل اخر ، وهي اقرب إلى الفهم الذي نقصده في هذه الدراسة ، التي لا تقتصر على النص الادبي ، بل تعنى بالنصوص حين تكون خارج الصفة الادبية ، كالقصة والرواية . فالسرديات «هي المبحث الذي يدرس طبيعة النصوص السردية وشكلها ووظيفتها ، بغض النظر عن الوسائط التي تقدم من خلالها ..» الواقع والتخييل ١٥ .

وهذا التحديد مهم لادراك جوهر السردية والسرديات فابتعادها عن الوسائط يفسح المجال واسعا للنصوص ان تحلل وان تقرأ نقديا .. فالرواية وسيط والقصة وسيط ، والمقال وسيط .. وهذا التوسع في فهم السرديات ، سوف يوسع دراسة النصوص والخطابات المختلفة على انها سرد «تحاول السرديات ان تتفحص الجوانب المشتركة

بين جميع النصوص السردية سواء على مستوى الحكاية او مستوى الخطاب او مستوى العلاقات بين الاثنين ، كذلك تبحث الامور او المحددات التي تجعل نصا من النصوص السردية يختلف عن نص سردي اخر ، واخيرا تهدف السرديات إلى تحليل القدرة على انتاج النصوص السردية في الكتابة وفهماها في اثناء عملية القراءة « ١٦ .

رموز التحليل السيميائي

التحليل السيميائي قائم على اساس رمزي ، وهو يأخذ من الرياضيات بعض اجراءاتها .. فالسيميائية اساسا منهج علمي مستشرد بما تنتجه العلوم الاخرى من امكانات وهو يتناسب تماما مع الصيرورة الجديدة للوجود الانساني المعتمدة على الاختزال والتي تطغى فيها الرمزية والموضوعية ، والملاحظة الدقيقة ، مستفيدا من علمي المنطق والفلسفة واذا نظرنا إلى السيميائية منهجا ، فان كل منهج متبع ، يعتمد على اساس فلسفي ، يحدد مساراته ، ولهذا فان فهم المنهج لا يمكن تصوره ، من دون معرفة الفلسفة التي تقف وراءه .. والسيميائية علما و منهجا اخذت من البنيوية ، ومن فلسفة البنية ، كثيرا من مبادئها ومن رؤى فلسفية اخرى ، لان البنيوية ، ممثلة بيناتها الاوائل مثل التوسير ولا كان وليفي شتراوس ، قد افادوا من الماركسية وعلم النفس الاجتماعي ومن علم الانثروبولوجيا ، الذي مثلته ، بنيوية ليفي شتراوس خير تمثيل .. ولا بد من الاشارة إلى الهرمونوطيقا ، ومناهج التأويل ، التي نفذت السيميائية إلى عمقها ، وبواسطتها ، دخلنا إلى العصر التأويلي ، ان صحت التسمية ، الذي يشكل (التناص) احد اساسياته ، فاذا كان التأويل قد عرف قديما ، مرافقا للشرح والتفسير ، فانه اليوم متصل بالنص على وفق المفهوم الجديد ، الذي حددته ما بعد الحداثة .. فاذا كان التأويل هو محاولة لاستخراج المسكوت عنه في النص ، او المتخفي على اساس معادلة : الظاهر والباطن ، فأن ما بعد الحداثة ، اضافت إلى ذلك اضافات مهمة ، وهي ان النص لا أب له كما يقول (جاك دريدا) ، وان له جذورا عديدة ، وهذا معناه ، ان الوصول إلى كنه المعنى ، هو مسألة ليست في طوع بنان المحلل للنص ، اي انه متعدد ، تعدد الجذور التي صنعته واوجدته ، وهذا يعني ان مفهوم (التناص) في اطار ما بعد الحداثة قد اخذ ابعادا جديدة ، حتى ان بعض السيميائيين لا يكون هدفهم من التحليل السيميائي هو الوصول إلى المعنى الدقيق ، وهذا يدل على مدى الحيرة والتشتت الذي يصيب المحلل في اطار تعدد الرؤى السيميائية .. وعلى اية حال فان الثابت ان هذا التحليل لا بد منه للوصول إلى نتائج علمية في قراءة النصوص ، وان زمن الارشادات والنصائح والكتابات غير الموثقة قد انتهى وقد بدا عصر جديد في تحليل الاجناس الكتابية سواء كان سردا ام شعرا ام مقالات ، ام مدونات تاريخية .

غير اننا يمكن ان نركز إلى القول الاتي للتخفيف من الحيرة التي قد نتابنا «السيميائية في حقيقتها كشف واستكشاف لعلاقات دلالية غير مرئية من خلال التجلي المباشر للواقعة ، انها تدريب للعين على التقاط الضمني والمتواري والممتنع ، وما يمكن الاستفادة واخذ العبر منه»^{١٧}

هذا جانب من السيميائية الذي تحدث عنه المقتبس السابق ، وهي خلاصة قد تكون مفيدة ، لكنها غير كافية والسيميائية ابعد ما تكون عن التحديدات الملخصة لان اكتشاف الضمني المتواري والممتنع كما يقول المقتبس ليس جديدا ، فقد علل التأويل على ذلك طويلا السيميائية اضافت إلى ذلك قدرتها على تحديد نوع القراءة التي تنفذ منها إلى النص ، وان هذا الضمني ليس واحدا او معنيا ومعروفا . ومن هنا تبدأ محنة المحلل السيميائي ، الذي يضع امكانات ما بعد الحداثة نصب اهتمامه ..

ومثل ذلك القول الاتي :

” التحليل السيميائي يركز على جانبيين ”

١. الرؤية والدلالات

٢. ربط النص بالواقع ، ولكن ليس بالضرورة يقتضي ذلك ، التطبيق الدقيق على اشخاص بعينهم او اماكن بعينها او قضية سياسية او اجتماعية او اقتصادية او فكرية بعينها»^{١٨}

المقتبس السابق ، وان يبدو واضحا ، لكنه يلبس الامر على القارئ ، فما المقصود بالواقع ؟ هنا تتعدد الاحتمالات ، فلاشك ان كل تحليل للخطاب يرتبط بالواقع ، ولكن اي واقع ، وكيف نفهمه هل المقصود (علم النفس الاجتماعي) الذي يذهب اليه دوسوسير ، هل الواقع هو السلوك الانساني ، في كل منازعه ؟ ام ان الواقع ، هو المتخيل الذي يريد النص الوصول اليه ، او المثالي المجافي للفوضى والانظام الذي تسعى السيميائية إلى نقضها .. والنصوص ليست ذات هدف واحد ، ومن ثم فلا يمكن تصور واقع ما مرتبط بها ..

ومع ذلك لا بد من العودة إلى الملخصات او الرموز السيميائية التي تؤطر كل تحليل تقريبا . واولها واهمها هو المربع السيميائي .. والذي اخذه كريماس من المربع المنطقي فهو امتداد له . لكن هذا المربع ، وصف احيانا بالمربع السردى ، فهو محتفي بالسرديات ، سواء في مفهومها الضيق او الواسع ، والمربع هو تصور رمزي لحالات السرد لا سيما

في القصة والرواية ، فهو يلخص حالات السرد باربعة اركان هي اركان المربع ، وبعلاقات ثلاثة ، هي علاقات التناقض والتضاد والتضمين ..

تحليل النصوص

(كانوا قبل ذلك امة واحدة وتفرقوا في بلاد متعددة ، ولم يستطيعوا التوحد ، حدثت محاولات للتوحد لم يرافقها النجاح ، وبسبب ذلك ضعفوا وتفرقوا وتخاصموا ، فضاخوا وضاعت بلادهم .. قال المؤرخون : ان غرناطة كانت اخر معاقلهم ، ومروان ابن محمد اخر ملوكهم .. الذي قالت له امه قولتها الشهيرة .. ابك مثل النساء ملكا لم تحافظ عليه مثل الرجال) .

هذا النموذج مصغر لجمل سردية يمكن ان تكون مجالاً للتحليل السيميائي ، وقد اخترنا هذه الجمل لبساطتها ووضوحها لرغبة منا في الوصول إلى كنه التحليل عن طريق التطبيق . الجمل السابقة جمل خبرية وهي جمل متسيدة في الخطاب السردى سواء اكان قصة او رواية او مدونة تاريخية او خطابا سياسيا او اعلاميا ، وميزة الجمل الخبرية انها تدل على الثبات في ذاتها ، ولكن هذا ليس قانونا ثابتا يجمعها ، اذ انها بدليل خطابي يمكن ان تتحول من الثبات إلى الحركة ، مثل قوله تعالى « ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم» فهاتان الجملتان تدلان على التغير والحدوث وليس الثبات ، فبمنطوق سياقي او برؤية ايديولوجية ، اي ان الابرار كانوا في نعيم ومازالوا وسيظلون كذلك ، وهذا المنظور مقبول عند المفسرين ، لكن علماء السيمياء يطلبون دليلا خطابيا لا ايديولوجيا ، ان التحليل السيميولوجي ، لا يقترب من الايديولوجيا لانه يعتمد على النص ممكناته ومحياته منطوقات الافعال فيه .

بعض البلاغيين يذهبون إلى ان الجمل الخبرية يمكن تأويلها بجمل انشائية والعكس صحيح ، وبعيدا عن ذلك ، لابد ان نركن إلى التصنيف القديم الذي يقول ان الجمل الخبرية ، جمل تدل على الثبوت وهي قاعدة التحليل السردى اذ ان الجمل الانشائية لها اسانيدها واساليبها المختلفة وغالبا ما تشكل (ديالوجا في السرد) .

على مستوى الملفوظ

١ . ملفوظ (انجاز) مثل قال .

٢ . ملفوظ (فعل) .

٣ . ملفوظ (حالة) .

- الأول هو تنفيذ للكفاءة اللغوية قال ، أكد ، صرح .
 الثاني هو الذي يعلن برنامجا يأتي على شكل مشروع .
 الثالث يصف وظيفة الأشياء ، اي مواضيع البرنامج القابلة للتحقيق .
 نستخرج الجملة (كنا قبل ذلك امة واحدة) في هذه الجملة ملفوظ حالة معبر عنه
 بواسطة فعل الكينونة ، للإشارة إلى الحالة الواقعة بين عاملين .

فاعل - موضوع : والرمز اليها (ف - م)

- والعلاقة هي علاقة وصل (ف ٨ م) وتسمى في التحليل السيميائي علاقة وصلة .
 ويسمى الفعل فعل الحالة اي انه مرتبط بعدد من القيم .
 اذا خطوة التحليل الأولى تتعلق بتحديد الفاعلين ، وخطوة التحليل الثانية هي في تقويم
 الصور التي تظهر لنا .

ففاعل الملفوظ يتعلق بحالة جماعية (كنا) وهذا يحيل على قيم متعددة منها التوحد ،
 السلام ، الانتاج ، التواصل . هذه القيم يمكن التحكم بها عن طريق الملفوظ الأول بكينونة
 خاصة او بفضاء عام .

كنا : فعل وفاعل جملة كاملة تحيل إلى ما ذكرنا .. ان لدينا ملفوظ ولدينا ملفوظ حالة
 تمثلها الجملة الأولى في النص (كنا امة واحدة) .

على صعيد البرنامج السردي (م - س) يوجد نشاطان لفظيان فاعل الحالة وموضوع
 الحالة ، ومع الفعل المنفي (لم يستطيعوا التوحد)، حدث جديد ضمن سياق الجمل ، هناك
 حالة خاصة قدمت بفعل منفي ، والسيميائية هي التحولات ، واذا كان المقصود بذلك هم العرب
 في الاندلس ففعل الكينونة علامة وجودهم ، ويمكن تسمية فعل التحول ملفوظ الحالة او
 ملفوظ الحركة ، اذ انهم قاموا بحركة ، محاولة لاعادة وحدتهم ثم اعادة ملكهم ولكنهم فشلوا .

هناك ضمير (هم) وعادة يستعمل في القص كثيرا وهو في النص غير معرف ، غير
 ان ملامحه توجي به ، من هم الذين حاولوا وفشلوا عرب الاندلس ام غيرهم ، واذا تشابه
 الفعل مع افعال اخرى ، فان من الطبيعي ان نتساءل عن التنقل من فعل الكينونة إلى فعل
 الحركة باتجاهين ، التفرق ومحاولة العودة للوحدة ، ثم الفعل الاخير وهو الفشل والتفرق

وضياع البلاد ، يمكن تحديد الفعل بجملتين أساسيتين : التوحد واللاتوحد ، كلا الجملتين تقودان إلى تحديد العناصر المميزه بالحركة :

- فعل حالة يتميز بالحركة .
 - فعل تحول , لم يستطع ، فشل ، خسر .
- ويمكن تمثيل هذا التحول بما يأتي :

ف (ف ٨ م) ← (ف ٨ م) ← (ف ٧ م)

في المخطط السابق السهمان المزوجان يرمزان إلى الملفوظ ، والسهم الواحد يرمز إلى التحول، فوضعت الاقواس للتمييز بين الملفوظ والتحول ، ويمكن وضع رموز اخرى غير تلك الرموز ، اذا كانت تشير إلى سير الدلالات وتحولها . فالاندلس في حالة التحول كانت في الوصل ، وعند التفرق والشتات ، اصبحت في الفصل والرموز جاءت لتركز المعنى في الذاكرة ، اذ ان قراءتها ميسرة وسهلة في حالة تبيين دلالاتها .

يجب الانتباه إلى ما يأتي :

ان الفاعل (فا) ليس شخصية والموضوع (م) ليس شيئاً ، فهما دوران ومفهومان ، يحددان مواقف مترابطة (عوامل وادوار عملية) ، لا يمكن لاحدهما ان يوجد دون الآخر ، ولا يمكن ان يوجد فاعل دون موضوع يرتبط به ، ويحدد من خلاله ، ولا موضوع دون فاعل يحدد به .

ففي جملنا السابقة ، لدينا ملفوظ حالة منفصل (ف ٧ م) اذ مثل (فا) الاندلس ، ومثل (م) ضياعها ، فقدت الامة وحدتها .

ملفوظ حالة متصل : (ف ٨ م)
وحدة الاندلس ، محاولة استعادتها..

التحول

هو الانتقال من شكل حالة إلى اخرى ، وهناك شكلان من التحول :

التحول الوصلي : (ف ٧ م) ← (ف ٨ م)

يمثل السهم الانتقال من حالة إلى اخرى .

- التحول الفصلي يتم الانتقال من حالة وصلة إلى حالة فصلة .

(ف ٨ م) ← (ف ٧ م)

يمثل التحليل السابق ، مرحلة الوصل ، فقد وصفنا حركة الافعال العاملة وتحولاتها ، لكن هذا هو مرحلة اولى ولا بد من مراحل تالية لكي يكتمل .
لدينا في التحليل ملفوظ فعل و ملفوظ حالة .

ملفوظ حالة : كانوا قبل ذلك .. اي الشمول واحتلال الفضاء الزماني والمكاني ايضا .
ملفوظ فعل : حاولوا ولم ينجحوا ، ويلاحظ القصدية في ملفوظ الفعل ، ويتحد الملفوظان ويحتلان كل الفضاءات الممكنة من الحقول الدلالية ، كانوا متوحدين فازالتهم الفرقة والخصام ، وضاعت من ثم الاندلس ، كانوا ملوك طوائف فانتابهم الضعف ومن ثم الانحلال .
نأتي إلى جملة القول ، قال نستخرج من هذه الجمل مجموعة ملفوظات رئيسية :
ملفوظ قال هو تنفيذ للمقالة اللغوية ، ملفوظ فعل ، غرناطة اخر معاقلها .
ملفوظ حالة ابك مثل النساء ..

النتائج

ينبغي أثناء التحليل التمييز بين البرنامج السردى كتابع لعمليات محولة لحالات ..
والمسار التصوري المكلف باظهار هذا البرنامج في المحكي :
فالبرنامج السردى يتمثل بكنا قبل ذلك ثم حصلت التحولات التي ادت إلى انهيار غرناطة ،
اما المسار التصوري فهو في فشل المحاولات للبقاء والحيولة دون الانهيار .. وكلا البرنامجين
يسير في خطين متساوقين ، اي ان احدهما يؤدي إلى الاخر .. غير ان الفعل السيميائي
يتحقق في البرنامج السردى لانه في الاصل تحولات ، والسيميائية هي رصد هذه التحولات .
وقد جاء النص بملفوظ مقولة الام ، ليشير إلى ضياع المملكة ، وكان بإمكانه ان يقول
، ان مروان بن محمد قد ضيع ملكه ، ولم يصنه ..
واذ ظهر المرسل واضحا بعد ان كان مضمرا والذي تجلى في (قال المؤرخون) ، يمكن
تذكر الادوار العاملة التي ترافق السيرورة السردية :
- فاعل مضمّر : يتعلق بالمرسل الذي اطلق الفعل وارتباطه بالموضوع المطلوب تحقيقه .
او في حالتنا المطلوب عرضه . يسمى ايضا فاعل ، ارادة . الفعل .
- فاعل كفاء .

يظهر هذا حين يملك الفاعل جهات الكفاءة . (القدرة والمعرفة) . فاعل محقق ، يظهر هذا حين يحقق الفاعل موضوعه . فاعل معروف . يظهر هذا الدور اثناء اداءات الجزاء وخلال الارتباط بمرسل الجزاء الذي يقيم الأداءات المحققة من الفاعل وفي نصنا السردي ، فان الفاعل المعروف ، جاء في نهاية النص ، في ملفوظ ، قال المؤرخون ، وهو تلخيص للأداءات السابقة .

على المستوى الخطابي ، تظهر (غرناطة) مجردة من أية قيمة ، مع انها في المجال العربي تمثل مجموعة من القيم ، صعود الأندلس ، قصر الحمراء ، توقد الفكر ، لان غرناطة اصبحت رمزا للاندلس فهي ابن رشد ، وهي ابن طفيل ، وهي تلاحق الفلسفة والدين ، في رسائل الفيلسوف ابن رشد (فصل المقال في ما بين الشريعة والفلسفة من الاتصال) ، كانت هذه مضمرة داخل النص ، وغير معروفة ، كما انها تضرر كونا اكبر معاصرا وليس قديما . اي لم يحدث في القرن الخامس عشر الميلادي حين سقطت الاندلس ، والكون المعاصر للأسباب ذاتها التي أدت إلى فناء الأندلس ، ستؤدي إلى فناء آخر ، ربما اشد واكثر قسوة ..

النتائج

يمكن حصر النتائج بالرسم الآتي



صورة غرناطة دمجت ثلاثة قيم متتابعة هي المدينة ،الدولة ، الامة . وهي صور غير اعتباطية ، وهي بذلك تجتمع تحت نظير مكاني (مدينة) وتحت نظير اجتماعي سياسي دولة وامة ..

تمفصل الصعيد السميولوجي والصعيد الدلالي

ما الصور التي يظهرها النص ؟ انه يضم اربع صور (مكاني) غرناطة الاندلس ، (سياسي) التوحد والفرقة ، (ثقافي) دلالة الاندلس في الثقافة العربية . (اجتماعي) اثر الوحدة والانحلال في المجتمع .. ويمكن لهذه الصور ، ان تشتغل على اكثر من صعيد سيميولوجي ، اذ يتحد التاريخ مع الجغرافية ، الماضي والحاضر صورة القوة والضعف في المجتمع ولدى الافراد .. ويمكن ان تقرأ سيميولوجيا ، على اساس الاثر الثقافي الذي يتركه الرمز (المكاني) على بقية الرموز ..

اذن هناك انواع من العلاقات الدلالية في النص ، علاقات تقابل .. الاندلس العرب ، علاقات تناقض ، الوحدة ، التفرق ، ويمكن توضيح ذلك بالشكل الآتي :

١. تسمية استقرار المدلولية حول نواة معنوية واحدة (نواة) هي اساس السيمات في النص ، وتكرارها من سيمة إلى اخرى . فبدائية النص ونهايته تتحدان في تغير سيميولوجي - هو التمزق والشقاق بسبب فقدان التوحد ..

٢. يمكن ان نسميه اختلاف المدلولية ، وتكرار هذه السيمات من صعيد سيميولوجي لآخر ، ملاحظة التمهصل الدلالي المفترض ، المدينة(المكان) والرجعة الزمنية من القرن الخامس عشرة .. ثم التناقض بين زمنين تاريخيين .

/ وحدة / عكس / تجزئة /

/ توحد / عكس / تشتت /

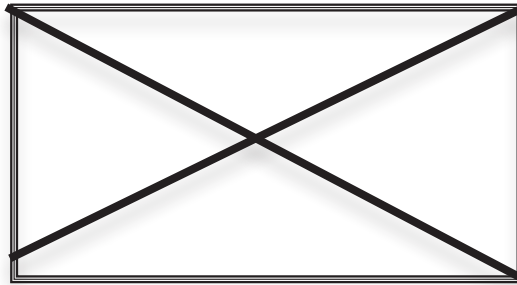
انضمام (اتحاد) / عكس / انفصال

يلاحظ ان وحدة وتوحد واتحاد وانضمام تقع في حقل دلالي واحد ، مع اختلاف دلالاتها داخل الحقل ، وعكس توحد تشتت انفصال انها تقع في حقل دلالي واحد ، مع اختلاف مدلولاتها داخل الحقل ، « هدف التحليل ليس ايجاد تقابل عميق فقط ، ولكنه يتعلق برؤية كيف (يعمل) النص مع هذا التقابل على مختلف المستويات ، وكيف يبني اللغة داخل النص وكيف ينظم المحكي » .

تقترح صيغة لجمع هذه التقابلات تتبع المعنى ، وهذه الصيغة جامعة لكل التقابلات.

/ غير مقبول /

/ مقبول /



/ لا - مقبول /

/ لا - غير مقبول /

هذه الصيغة المقترحة تسمح بالانعكاس على كل الشبكات السيميولوجية السابقة . بتنظيم المعنى ، ونستطيع توليد التقابلات السابقة وما يضافها بادراجها على وفق الجدول المقترح (المقبول وغير المقبول)

المقبول (وحدات معجمية)

= (سيمات لغوية سيميولوجيا) لغة

= (سيمات منظمة تصويرية)

المقبول وحدات معجمية سيمياء نووية سيميولوجيا سيمات منظمة

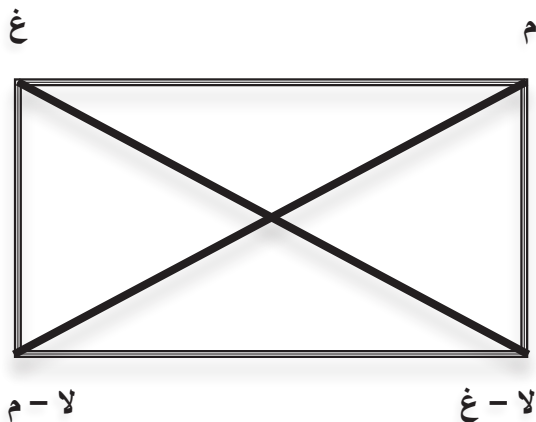
وصعيد دلالي قدرات تصويرية

وحدة ، توحد حوار داخلي مدينة (غرناطة)

غير المقبول

فرقة ، تجزئة حوار داخلي

ويمكن وضع المتقابلات السابقة في شكل المربع ، لابرار التناقض والتضاد في النص ، من اجل الوضوح الدلالي :



يتوافق البرنامج السردي في تحديد ، ان كل لفظ ، يلاقي نقيضه .. في محور التناقض تتجلى السردية ، فالمقبول ، هو الوحدة والتوحد ، يقابله ، غير المقبول وهو الفرقة والتجزئة في محور التناقض ، والتضاد ، المقبول يضاد غير المقبول ، اذ كل فعل قولي يوجد نقيضه

. وعندما ينتقى اللفظ فالقصد اظهار هذا النقيض وهكذا يتجلى معنى اللفظ من هذه الثنائيات ، ويمكن للمربع ان يتوقع اربع عمليات منطقية ، والاشارة إلى ما يوافقها في النص .
 ١. /م/ ← لا-م : التكفل بنفي (م) عن طريق عدم التجزئة والتشتت وقبول الواقع المؤلم .

٢. /لام/ ← غ : التكفل باختيار (غير مقبول) يجعل هناك مشاركة مع اسم المدينة (غرناطة) .
 لأنه محور تضمن

٣. غ ← لاغ ، / التكفل بنفي (غير مقبول) ، محور التناقض ، عدم قبول الواقع ..

٤. لا - غ ← م / التكفل باختيار / مقبول / اعطاء / قبول التجزئة ..

لم تأخذ كل العمليات الدلالية ، نصيبتها من التحليل لكننا قدمنا ، صورة لما يمكن ان يكون عليه التحليل السميولوجي ، وهو لاشك تختلف من باحث إلى اخر ، غير ان التقابلات والتضادات والتناقضات هي من يعطي التجلي الكامل للمعاني سواء كانت ظاهرة او خفية .

الهوامش

١. د.زكريا ابراهيم . مشكلة البنية . مكتبة مصر – القاهرة ص ٥٧ .
٢. المصدر نفسه ص ٥٨ .
٣. فيصل الاحمر ، معجم السيميائيات ، الدار العربية للعلوم ، منشورات الاختلاف . ط ١ ، ٢٠١٠ ، ص ٩٥ .
٤. مشكلة البنية ، سابق ص ٥٧ .
٥. فريق انتروفون . التحليل السيميائي للنصوص ، دار نينوى ، دمشق ط ١ ، ٢٠١٢ ص ١٢ .
٦. سارة ميلز . الخطاب . ترجمة يوسف نقول بدلالة نعيمة سعدية ، التحليل السيميولوجي والخطاب ص ٤ .
٧. فريق انتروفون . مصدر سابق . ص ١٧ .
٨. المصدر نفسه ص ١٧ .
٩. المصدر نفسه ص ١٨ .
١٠. المصدر نفسه ص ٣٦ .
١١. المصدر نفسه ص ٣٧ .
١٢. د.مرسل فالح العجمي . الواقع والتخييل ، نوافذ المعرفة . العدد السادس . الكويت . ٢٠١٤ ص ١٨ .
١٣. المصدر نفسه . ص ١٨ .
١٤. فريق انتروفون . مصدر سابق . ص ٢٦ .
١٥. د. مرسل فالح العجمي . سابق ص ١٨ .
١٦. المصدر نفسه ص ١٩ .
١٧. www.rabitat-alwaha.net/moltaqalshowth.read.php?t=٨٧٧٤ .
١٨. المصدر نفسه .